«سوفيتيسكايا روسيا»، أعربت فيه عن المشاعر المتضاربة من العطف على المقاومة الفلسطينية ومن الشكوك حول أساليب نضالها؛ وأبرزت أهمية تسوية أزمة المنطقة سياسياً، «الأمر الذي ترغب فيه بعض الدول العربية». لكنها وجهت لوماً قاسياً إلى «فتح» التي تتمسك، كما ذكرت الصحيفة، بسياسة «لا سلام ولا حرب»، وهذا شعار «صاغه تروتسكي، ولم يأت بفائدة». واضافت «ان رجال ' فتح ' يستخدمون شعارات ثورية يسارية، برهن التاريخ على عدم واقعيتها، وهي، في هذه الحالة، تخدم اسرائيل». وأكدت «ان شعار تدمير اسرائيل غير واقعي، ومن غير الممكن اعادة عجلة التاريخ إلى الوراء واقامة حكومة واحدة لليهود والعرب». وأعربت الصحيفة عن أسفها لـ «ان بعض القادة من رجال ' فتح ' يتبنون أهدافاً سياسية، متجاهلين الاوضاع العينية في الشرق العربي، وتوازن القوى على الصعيد الدولي»(٩).

أثارت هذه الكتابات الاهتمام، ليس بسبب ما ذكرته فحسب، بل، أيضاً، بسبب ما لم تأت على ذكره. اذ ليس من العسير ان نتبين خلف هذه «المواقف» انخراطاً شاملاً في النظام الاقليمي الشرق أوسطي، ينمّ عن ادراك موسكو لموقعها القوي داخل هذا النظام. ان أحد اشكال الانخراط التي أظهرت حرص موسكو الدائم على الالتزام بها، كانت قائمة على الدول، لا الحركات المحاربة. وفي الامكان، حقاً، المضي إلى الاعتقاد، بأن السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي، وإن كانت وضعت لها اهدافاً استراتيجية ثابتة تعكس تطلعات الكرملين إلى مكانة في النطاق الاقليمي، فانها ترى ان مكانتها وقدراتها تنحصر في اطار دعم بعض دول المنطقة، لتضمن تسوية سياسية ترى امكان المشاركة فيها.

من جهته، كان الجانب الفلسطيني، وبحق، ينظر إلى الدعم السوفياتي لحركة المقاومة على انه جزء من المصالح الاستراتيجية للاتحاد السوفياتي؛ وقليل من الفلسطينيين، أيضاً، سواء داخل أو خارج حركة المقاومة، تناسى ان الاتحاد السوفياتي كان في طليعة البلدان التي اعترفت بدولة اسرائيل. ونستطيع ان نتبين هذه الدرجة من الشكوك في العام ١٩٦٩، في تساؤل صلاح خلف (ابو اياد): «أليس من المستغرب ان الاعلام الغربي كان يحرص على تغطية اعمال المقاومة افضل من الاعلام الاشتراكي ؟»(١٠).

في مقابل ذلك، فان هذه التحفظات، لم تمنع قادة «فتح»، في سنوات صعودهم بعد ١٩٦٧، عن البحث في جوامع مشتركة مع الاتحاد السوفياتي. واعتباراً من مطلع العام ١٩٧٠، ظهرت بوادر منعطف، حذرة من دون شك، أثبت المستقبل أهميتها. ففي التاسع من شباط (فبراير)، وصل رئيس اللجنة التنفيذية، ياسر عرفات، إلى موسكو على رأس وفد من م.ت.ف. في زيارة استغرقت عشرة أيام. كان هذا الاتصال غير رسمي؛ ذلك لأن الوفد الفلسطيني كان يلبي دعوة من اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو ـ آسيوي ذات الصفة غير الحكومية؛ ولم يذكر انه التقى أي مسؤول في الحكومة السوفياتية، أو في الحزب الشيوعي السوفياتي. وحين نشرت وكالة «تاس» الرسمية نشاطات الزعيم الفلسطيني، تطرقت إلى لقاءات بين «ممثلي التنظيمات الاجتماعية والصحافيين والكتاب وقدامى محاربي الحرب العالمية الثانية»(١١). لقد كانت رغبة موسكو في عدم اعطاء المحادثات طابعاً رسمياً واضحة في مغزاها. وهي طريقة مدروسة للاحتفاظ بقدر من المسافة من حركة لا تعتبرها محاوراً مؤهلاً في مساعي التوصل إلى تسوية في الشرق الاوسط. وقد عكست التعليقات الفلسطينية الصعوبات التي واجهها عرفات في تلك الزيارة: مبدئياً، كانت الزيارة متوقعة في نهاية ١٩٦٩، الا انها أُرجئت لشهرين، بسبب التحفظ السوفياتي من مطالبة الجانب الفلسطيني بأن تكون الدعوة رسمية؛ وفي النهاية انتصر الموقف السوفياتي، على الاقل، علناً. كذلك، برزت صعوبات أخرى تعلقت بهدف الزيارة التي